حوليات جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله

المجلد 03 – العدد 01 – ذو الحجة 1444/ جوان 2023

ISSN-2773- 3858

EISSN -2992-0973

مدونات الجغرافيين المسلمين عن المغرب الأوسط

في ميزان المستشرقين من القرن الثالث إلى الثامن الهجري

Title : Blogs of Muslim geographers about the Central Maghreb

In the balance of orientalists from the third to the eighth century AH

الدكتورة شفيقة عيساني

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله –

chafika.aissani@univ-alger2.dz

تاريخ الارسال:2023/04/24	تاريخ القبول:2023/05/18	تاريخ النشر :2023-06-30

الملخص:

ساهمت مدونات الجغرافيين المسلمين عن منطقة المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة، بمعلومات غزيرة و في منتهى دقة ملاحظة و من الأهمية بمكان، أن أشاد في القرن التاسع عشر مستشرقين فرنسيين، بأهميتها بل وبضرورتها بالنسبة للإدارة الفرنسية التي احتلت الجزائر ، حيث تعتبر معلوماتها عن المدن و السكان و المسالك و الطرق و الوضع الاقتصادي هي صورة حقيقة تعكس الواقع ويمكن اعتمادها كدليل على الأرض، و انها حلقة وصل لابد منها، وصلت المعارف الاغريقية و الرومانية القديمة، وتكمل ما توصلت اليه الحفريات الأثرية من معطيات علمية لسد الثغرات التاريخية، فماهي معطيات الجغرافيين المسلمين حول مصطلح المغرب الأوسط (الجزائر) تحديدا، وكيف عرفت تدرُجاً في تحديد حدوده ، وكيف تدرجوا في المعلومات التي أفادوا بها حول المدن وحواضر بلاد المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: المستشرقين، مدونات الجغرافيين، الجغرافيا، المغرب الأوسط، القرن الثامن هجري.

Abstract :

Muslim Geographers' Blogs Contributed to the Islamic Maghreb Region in General and Middle Maghreb in Particular with abundant and accurate information, and of utmost importance, To pay tribute in the nineteenth century to French orientalists for their importance and even their necessity for the French administration that occupied Algeria, Its information on cities, residents, routes, roads and the economic situation as a true picture that reflects reality, can be relied upon on the Earth, and a necessary link. Between ancient Greek and Roman knowledge, and the scientific data of archaeological excavations, what are the data of Muslim geographers about central Maghreb (Algeria), specifically, and how they have incorporated information about the cities and cities of the Central Maghreb.

مقدمة:

إن الجغرافيا من العلوم التي حظيت باهتمام كبير من قبل المسلمين، سواء من حيث الترجمة أو التصنيف خلال العصور الوسطى، وبالرغم من ضياع أعداد هائلة من مؤلفاتهم في هذا المجال، إلاّ أن الذي وصل منه إلينا يدلّ على براعة تستحق التنويه والإشادة.

ولقد كان للدراسات الاستشراقية دور كبير في جمع وترجمة الكثير منها إلى اللغات الأجنبية وذلك لما تحتويه من أهمية علمية كبيرة، وقد نشطت هذه الحركة خاصة منذ القرن التاسع عشر، مواكبة للأغراض الاستعمارية الفرنسية بالجزائر

([1])، وفي هذا الاطار كتب الكونت "ماينرز دي أستري Le Conte Meyners D'estrey"في مقال له لصالح المؤسسة الجغرافية الفرنسية **la Société de géographie** ما يلي:

" إن فضل العلماء المسلمين كبيرا على علم الكوزموغرافيا ([2]) والجغرافيا الرياضية ، وتبيّن أنهم تمكنوا وبنجاح من مواصلة عمل الأقدمين (اليونان)؛ كما و أنّه في نفس الوقت تبقى لكتب الجغرافيا الوصفية للمسلمين أهميتها الفريدة بالنسبة لنا، لأنها تشكّل مصدر معلوماتنا الأساسي الذي بحوزتنا، فهي بمثابة دليل لا غنى لنا عنه، لمعرفة الجغرافيا التاريخية لمناطق واسعة من العالم في فترة العصور الوسطى، هي بالنسبة لنا مجهولة اليوم" ([3]).

وباعتبار أن منطقة المغرب العربي جزءا من مملكة الإسلام كما يسميها معظم الجغرافيين المسلمين، فقد أخذت نصيبها من الدراسة الوصفية لكتب الجغرافيا الإسلامية وكتب الفتوح، بحيث يمكننا بعملية فحص انتقائية للنصوص المتعلقة بمنطقة المغرب الأوسط-وهو مجال بحثنا- من رصد الجغرافيا التاريخية للمنطقة

---

[1] -ذكر المؤرخ التركي فؤاد سزكين أن الاستشراق بدأ في الظهور منذ النصف الأول من القرن السابع عشر، وأن العالم الهولندي ياكوب كوليوس Jacobus Golius الذي جمع في مدينة لندن مجموعة من المحطوطات العربية لابأس بها، نشر بعضها بين سنوات 1623-1656م مثل: "لامية العجم للطفرائي" و"المقامة الأولى للحريري" و"قصيدة لأبي العلاء المعري" ثم تبعه عدد من المستشرقين. للمزيد راجع: فؤاد سزكين، **محاضرات في تاريخ العلوم**، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1399هـ/1979م، ص، 27.

[2] - كوزموغرافيا Cosmographie وصف عام للكون، علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه. راجع: المنهل، سهيل ادريس، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، ص، 130.

[3] - أنظر: - Meyners D'estrey : **Les Géographes arabes,** dans générale outlines of Islamic Géographiy selected and reprinted , in Islamic Geography, Frankfurt University ,1992 , Volume 28, p,180.

المذكورة، منذ القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري / القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكيفية تطور ونمو مدنه.

ولقد نوه بأهميتها التاريخية المستشرق الفرنسي روني باسيه René Basset وكان أستاذ في المدرسة العليا للآداب بالجزائر، في احدى دراساته الخاصة بـ«الوثائق الجغرافية حول إفريقيا الشمالية» حيث كتب يقول: ***«بينما كانت جغرافية إفريقيا الشمالية في العهد الروماني هي محور لأعمال كثيرة، للدّارسين من كل النواحي، حيث استخدمت كل المعطيات في سبيل ذلك، سواء من نصوص، أو نقوش أثرية، للتعرف أكثر على" إفريقيا الرومانية" L'Africa Romana وإعادة بعثها [4]، إلاّ أنه في نفس الوقت، يبدوا بوضوح أننا قد أهملنا فترة هامة من الزمن لم نستثمر مصادرها، وهي اثنى عشر قرنا الممتدة من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال الفرنسي»***، و أوعز باسيه إلى التقصير في تعلم اللغة العربية لدى الدارسين الأوروبيين، التي تعتبر الأداة الأساسية لفهم واستغلال هذا التراث الإنساني، وقد اعتادوا على التوجه إلى النصوص الاغريقية أو اللاتينية المرتبطة بالتاريخ القديم. من أجل ذلك تبقى المؤلفات الجغرافية الإسلامية الملجأ الوحيد لملئ الفراغات التي تركته الكتابات القديمة ([5]).

وأشار باسيه أن احتلال فرنسا للجزائر قد أعطى دفعا جديدا للدراسات والبحوث في هذا المجال، فقد وضعت عملية اكتشاف ونشر وترجمة المخطوطات

---

[4] - إفريقيا الرومانية L'Africa Romana :تسمية التي أطلقتها روما على المنطقة التي أصبحت تحت سيطرتها بعد قضاءها على قرطاجة عام 145قبل الميلاد ، وهي المنطقة الممتدة على طول افريقيا الشمالية ، الممتدة من ساحل المحيط الأطلنطي (المغرب الأقصى) الى صحراء سرت بليبيا الحالية، وعملت روما على رومنتها و اعطاءها صبغة الحضارة الرومانية ، للمزيد أنظر؛ شارل أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية،تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء الى الفتح الأسلامي647م.تعريب ؛ محمد ميزالي/ البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية2011.

[5]- أنظر - Basset René: **Documents Géographiques sur L'Afrique Septentrionale**, : dans Islamic Géography, Frankfurt university , 1993, Volume 144, p. 155

العربية، مادة علمية على درجة كبيرة من الأهمية بين يدي المستشرقين وحتى الجغرافيين الأوروبيين ([6]).

والمطلع على التراث الجغرافي الإسلامي يجد أن تناول المؤلفين المسلمين للمغرب قد عرف تدرجا من حيث التسمية التي أطلقوها على المنطقة، كما تدرجوا في المعلومات التي أفادوا بها حول المدن وحواضر بلاد المغرب.

وتعتبر كتب الفتوح من المصنفات الأولى التي ذكر فيها المغرب ([7])، وكانت في مجملها تدمج المغرب مع مصر، وذلك لاعتبارين هما: الامتداد الطبيعي للمنطقتين، وكون أن مصر كانت القاعدة الخلفية للجيوش الإسلامية الفاتحة.

وقد ذكر البلاذري صاحب كتاب "**فتوح البلدان**"، وهو أشبه بتأريخ الفترة الأولى للفتوحات الإسلامية، أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية سار بجنده يريد المغرب، فافتتح برقة وهي بين مصر وإفريقية ثم فتح طرابلس، فتح إفريقية وذلك سنة 22 هجري ([8])، وأضاف البلاذري أنه لما ولي ولاية مصر والمغرب عام 27 هـ بعث

---

[6] - Ibid.

[7] - المغرب: تسمية أطلقها المؤلفين المسلمين لقسم من إفريقيا الذي كان يطلق عليه الأوروبيين تسمية بلاد البربر "La Berbèrie" وإفريقيا الصغرى "L'Afrique mineur" ثم إفريقيا الشمالية "L'Afrique du nord" والتي تشمل: طرابلس الغرب، تونس، الجزائر والمغرب، ولفظ مغرب يعني الغرب، مغرب الشمس وهو عكس الشرق أو مشرق الشمس، ولكن كما أشار ابن خلدون فإن هذه التسمية تبقى مطلقة وعامة عل وصفها ولا تدل على منطقة معينة وخاصة.

- أنظر: G.Yver **Al Maghreb,** dans Encyclopédie de l'Islam, novelle édition, 1986,, leiden ,Brille, Volume : v, p, 1173.

[8] - أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر، **فتوح البلدان**، تحقيق (م.ي.) دي خويه، في السلسلة الجغرافية الإسلامية، جامعة فرانكفورت، 1992 مجلد 42، ص، 224.

جيشا أصاب أطراف إفريقية ([9])، ويتبين من خلال هذه الرواية أن تسمية المغرب كانت تطلق في عصر الفتوحات على المنطقة الواقعة غرب مصر ابتداء من مدينة برقة على إفريقية إلى حدود البحر أي أنها تشمل ما يعرف اليوم ببلدان ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

أما في كتب الجغرافيين المسلمين المتقدمة التي تعود إلى القرن الثالث الهجري/ 9 م، فإن من أهمها ما كتبه ([10]) اليعقوبي سنة 284 هـ /897 م صاحب **كتاب البلدان**، وقد أعطى وصفا وصورة واضحة عن جغرافية وحدود المغرب في الفترة المذكورة، وهو يلتقي مع معظم معاصريه أن مدينة برقة هي حد بلاد المغرب من جهة الشرق ويضم كل من سرت، و ودان، و زويلة، و فزان، ثم طرابلس والقيروان وتونس و قفصة و سبيطلة والقيروان ([11])، كما يشمل بلاد الزاب ومدينته الكبرى وهي طبنة وتظم هذا الإقليم التابع للقيروان مدنا أخرى، باغية وجبال أوراس الذي تسقط فيه الثلوج، ومدينة ميلة وهي عامرة بالناس ومحصنة وقريبة نوعا ما من السواحل و مرساها يعرف بجيجل و آخر يقال له قلعة خطاب ومرسى سكيكدة ([12]).

---

[9] - البلاذري : المصدر السابق، مجلد 42،ص. 225.

[10] - من الهام أن نشير أن المؤرخ الجغرافي العقوبي ألف كتابه البلدان خمسين سنة بعد تأسيس مدينة سمرّاء 221 هـ / 836 م، أي حوالي عام 276 هـ / 889 م، وحوى معلومات قيمة حول شمال إفريقيا حيث استقر بمدينة تاهرت التي كانت تحت الحكم الرستمي أبي اليقظان، كما استقر لزمن آخر في مدينة رقادة التي أسسها أمراء القيروان في 263 هـ / 876 م وهو ما يجعل كتابه هذا ذو أهمية تاريخية كبيرة.

أنظر: - Marçais (G) **: La Berbèrie au IX sicle,** dans Islamic Geography, Frankfurt, 1993, Volume32, pp, 16-17.

[11] - اليعقوبي أبو العباس أحمد بن يعقوب (1992)، **كتاب البلدان**، تحقيق: (م.ي) دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 40، ص،ص، 344-349.

[12]- اليعقوبي: المصدر السابق، ص. ص. 350-351.

وبعد تفصيل و تدقيق في المعلومات حول هذه المناطق الشرقية و أهم موانئها –الجزائرية حاليا- واصل ذكر أهم المدن الداخلية الواقعة في نفس المجال، كمدينة سطيف، ونقاوس، ثم أضاف لاحقا إقليم متيجة الثري، ومدينة تاهرت ذات الأهمية السياسية و الاقتصادية حيث كانت عاصمة الرستميين الإباضيين ووصفها بالمدينة العظمى، وهو نفس الوصف الذي أطلقه اليعقوبي على مدينة تلمسان المشهورة ببلاد المغرب مسورة بسور من الحجارة، وهي عامرة بالناس ويبدوا أنها كانت تتمتع بنشاط اقتصادي وتجاري وثقافي كبير في القرن الثالث الهجري كما يبدوا أن أهلها كانوا يعيشون رخاء ورفاهية، وازدهار ملحوظ في الجانب العمراني حيث أن اليعقوبي أخبر أن بها قصور ومنازل مشيدة ([13]).

إلى جانب اليعقوبي نجد من أقدم مصادر الجغرافية الإسلامية التي وصلتنا حول جغرافيا المغرب الإسلامي في العصر الوسيط هو ما كتبه أبو القاسم عبيد الله ابن خرداذبة ([14]) 205-300 هـ في كتاب المسالك والممالك، وذلك في اطاروصفه للطرق المؤدية نحو المغرب و أهم أقاليمه ومدنه، وذكر أن المغرب كانت تحت حكم الرومان قبل أن يفتتحها المسلمون، كما أضاف أن مبدأ هذه البلاد من برقة حيث يتجه المسافرويمر بمدن ليبيا حاليا :سّيرت، وقصور حسان بن النعمان، ثم مدينة طرابلس

[13] - اليعقوبي : المصدر المصدر نفسه، ص ص، 352- 356.

[14]- أبو القاسم عبيد الله ابن خرداذبة: فارسي الأصل، كان مقربا من بلاط الخليفة المعتمد 256-279 هـ وشغل وظيفة صاحب البريد بنواحي الجبال بإيران وكان جده ماجوسيا ولاسمه صيغتين كلاهما من أسماء تمجيد الخالق ولهما استنشاق واضح في اللغة الفارسية الوسيطة، وصيغة الأولى للفظ هي "خرداذبة" معناها خردة أفضل، أما الثانية خرداذبة فمعناها خلقه خرة أفضل وكان والد المؤلف حاكما على طبرستان جنوبي بحر قزوين في أوائل القرن 9م، وذاع صيته بسبب اخضاعه أراضي الديلم التي لم تدخل ضمن أراضي الخلافة الإسلامية في زمانه.

راجع: كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة: صلاح الدين هائم، طبعة (2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1408 هـ / 1987 م،ص ص، 165-166

وقابس ([15])، ثم يدخل في أرض ولاية إفريقية الواقعة تحت حكم أسرة الأغالبة من قبل العباسيين وهي في وسط المغرب، ويتبعها عدد من المدن الكبيرة الهامة مثل قابس، قصطيلة ومدينة الزاب تهودة وطفرجيل وتونس وتاهرت وغيرها، أما المناطق الغربية كتلمسان وسبتة وطنجة والسوس الأدنى والسوس الأقصى وفاس، فكلها واقعة تحت حكم الأدارسة العلويين من ولد ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن حسن ابن حسين بن علي بن أبي طالب ([16]).

من خلال وصف ابن خرداذبة تبين لنا أن المفهوم السائد عن حدود المغرب الإسلامي لدى الجغرافيين المسلمين الأوائل أن مجاله العام يمتد من حدود برقة شرقا إلى طنجة الواقعة على المحيط الأطلسي غربا، وقسمه نظريا إلى ولاية إفريقية الواسعة التي تضم أشهر المدن، وبين منطقة المغرب الأقصى حاليا التي أدمج فيها تلمسان وطنجة وإقليم السوس الأدنى و الأقصى، كما رسم الجغرافي الفارسي الأصل أهم ملامح الخارطة السياسية للمنطقة في فترة النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، تمكننا من التعرف على أهم القوى السياسية المسيطرة حينها.

والملاحظ أن نفس المعلومات يفيدنا بها معاصرة الكاتب البغدادي قدامة ابن جعفر فقد كان الرجلان يعملان في دواوين الخلافة العباسية، فكانت المعلومات الموثقة من قبلهما إدارية وعلمية بحتة تتعلق بالطرق والخراج والتقسيم الإداري لأراضي الدولة الإسلامية ([17]).

---

[15]- ابن خرداذبة، 1992، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: م.ي دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 39، ص، 86.

[16] - ابن خرداذبة، المصدر نفسه، ص ص، 87،88،89.

[17] - قدامة ابن جعفر،1992، **الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق: م.ي دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 39، ص ص، 223-225.

كما كان للجغرافي الرحالة المسلم الإصطخري فضل كبير في مدنا بمعلومات هامة حول العالم الإسلامي عامة والمغرب خاصة في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجري، وقد كان من العلماء الذين تناولوا جغرافية المغرب الأوسط بالوصف والتحليل، وكان قد أنهى أول مسودة لكتاب المسالك والممالك حوالي عام 318-321 هـ [18]، وعني فيه بوصف العالم الإسلامي وحده مقسما إياه إلى عشرين إقليما، وقد اشتهر كتابه بين المستشرقين الأوروبيين الذين جابوا البلاد الإسلامية بحثا عن أقسامه لاستكمال نسخه لغرض المقارنة بينهما والخروج بنسخة كاملة، وبعد أن ضن أنه قد ضاع تماما تمكن العالم الهولندي المستشرق (م. دي) خويه De Goeje بعد طول بحث في اكتشاف نسختين واحدة في مدينة بولوني Boulogne البلجيكية و الأخرى في برلين Berlin واللتان لم يتم التعرف عليهما لقدم النسختين [19].

ومهما يكن من أمر فإن النسخة التي أخرجها دي خويه وحققها هي المستعملة وتحتوي على جزء هام يخص بلاد المغرب الإسلامي، فهو يقسمه إلى قسمين نصف يمتد على أراضيه على بحر الروم أي سواحل المغرب على البحر المتوسط، ونصف من غربيه ويشمل بلاد الأندلس، أما عن تحديده لحدوده الشرقية فهو كغيره من المؤلفين يرى أن مبدأه من حدود مصر إلى برقة ثم يمتد ليشمل إفريقية ثم تاهرت إلى طنجة والسوس وما في ضفاف هذه البلاد [20].

كما تعرض الإصطخري إلى الحديث عن الحدود الداخلية لبلاد المغرب التي حسب وصفه تمضي على ظهر الواحات «تنتهي إلى أراضي جنوبا وغربيه البحر المحيط»-

---

18- كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص، 214.

19- أنظر: - Meyners D'estrey : **Les Géographes Arabes**, p, 369.

20- أبو إسحاق الفارسي **الإصطخري: المسالك والممالك**، تحقيق: م.ي دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، اصدار فؤاد سزكين، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكورت، ألمانيا، 1992، مجلد 35، ص ص، 36-37.

المحيط الأطلسي- الذي يمتد على حده وشماليه، أما عن السواحل المغربية فيصف أهم و أشهر مدنها الساحلية في القرن الرابع الهجري/9م، فذكر «من حد مصر على ما يحاذي برقة إلى طرابلس المغرب ثم المهدية ثم إلى تونس ثم إلى طبرقة ثم إلى تنس إلى جزيرة بني مزغنا، ثم إلى الناكور ثم أزيلة ثم إلى السوس الأقصى، كما يمتد على سواحل البحر المحيط إلى وراء سجلماسة إلى زويلة ثم يمتد إلى ظهر الواحات من أرض مصر» ([21]).

فكانت هذه نظرة شاملة لكل حدود وامتداد بلاد المغرب الإسلامي في نظر الجغرافي الإصطخري. ومن المعلوم أن عمل الإصطخري أكمله معاصره الأصغر سنا أبو القاسم بن حوقل النصيبي الجغرافي الرحالة من مدينة نصيبين بالجزيرة الفراتية، وقد بدأ رحلته وتجواله من بغداد في رمضان عام 331 هـ/ 943 م، متخذا التجارة مهنة له، وقد انتظم تجواله في إفريقيا الشمالية والأندلس، وزار نابلي وباليرمو وعرف عن كثب العراق وايران وجزءا من الهند ([22]).

و بفضل ارتحاله في منطقة المغرب اكتسب "كتاب صورة الأرض" أهمية كبيرة لما يورده من معلومات وافية حول المغرب والأندلس، وشكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس في العهد الأموي ويبين المحاصيل المصدرة إلى المغرب ومصر، من أجل ذلك اكتسب كتابه في المغرب صيتا أوسع مما اكتسبه في المشرق ([23])، واستعنا به للتعرف على حدود بلاد المغرب و أهم مدنه وحواضره، وقد أورد أدق التفاصيل في هذا الشأن، حيث حدد امتداد أراضي بلاد المغرب على البحر المتوسط

---

[21]- الإصطخري: المصدر نفسه، ص. 39.

[22]- كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص، 198؛

أنظر: Auguste Gherboneau , **Les Geographes Arabes au moyen âge**, In Islamic Géography, Frankfurt University, , 1992 Volume :28,p, 214.

[23]- كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص، 204.

من الناحيتين و الجانبين الشرقي والغربي، فأما هذا الأخير فيمتد من حدود بلاد مصر وبرقة إلى أن يصل بلاد إفريقية ونواحي تنس إلى سبتة و طنجة ([24]).

والامتداد الآخر الشرقي «يشمل بلاد الأندلس المذكورة المحاذية لبلاد الروم وأرض صقلية ثم تمتد أرض الأندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس وهكذا إلى طبرقة إلى جزائر بني مزغنا إلى تنس إلى وهران إلى نكور إلى سبتة ثم إلى أزيلي» ([25]) فحتى بلاد المغرب -حسب ابن حوقل-ينقسم إلى شقين مشرقي وهو برقة إلى طنجة، ومغربي ويشمل الأندلس وجزيرة صقلية.

ويفيدنا المقدسي الذي عاش تقريبا في الفترة الزمنية التي ينتمي إليها ابن حوقل و الإصطخري أي القرن الرابع الهجري، ويعتبره المستشرقون من أمثال اسبرنجر Sprenger وكرامرس Kramers من كبار المدرسة الكلاسيكية في الجغرافيا ([26])، وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد العروف بالبشاري (توفي 378هـ)، في وصفه لبلاد المغرب أشاد به: «..إقليم بهي وكبير، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخا به ثغور جليلة وحصون كثيرة...» ([27]).

واعتبر المقدسي كسابقيه أن بلاد المغرب يضم بلاد الأندلس و لا يختلف عن الجغرافيين الآخرين باعتبار أن حدوده تمتد من حدود مصر في برقة إلى طنجة، كما أدمج جزيرة صقلية و الأندلس المقابلة لسواحل إفريقيا الشمالية ومن ناحية أخرى فصّل المقدسي في ذكراهم مدن المغرب لاسيما ولاية إفريقية، حيث جعل من القيروان

---

[24]- ابن حوقل أبو القاسم، 1992، **كتاب صورة الأرض**، تحقيق: (ي.هـ) كرامس، في الجغرافيا الإسلامية، اصدار فؤاد سزكين، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكورت، ألمانيا، مجلد 35، ص، 60.

[25]- ابن حوقل: المصدر نفسه، ص. 61.

[26]- كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص، 210..

[27]- المقدسي شمس الدين محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: (م.ي) دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، 1992مجلد 36، ص، 215

قصبتها ومن أشهر مدنها صبرة وسفاقس والمهدية، سوسة وتونس، وبنزرت، طبرقة، بونة(عنابة)، باجة (بجاية)، المسيلة، أشير، سوق حمزة، جزيرة بني مزغانة، متيجة وتنس، و أضاف المقدسي أن من أشهر المدن التابعة لولاية إفريقية قسنطينة، ميلى، و جيجل، سطيف، مرسى النجاح... ([28])، فالملاحظة أنه ضم مناطق واسعة من المغرب الأوسط إلى ولاية إفريقية ونحى منحى سابقيه في هذا التقسيم.

أما عن جغرافي القرن الخامس الهجري/11م، فإن أبو عبيد الله البكري (توفي 487هـ1094م) من أهم الجغرافيين الذين اشتهروا بأعمالهم العلمية المتميزة، وقد اعتبره المستشرق الهولندي دوزي رينهارت Reinhart Dozy (ت 1883)«أكبر جغرافي أخرجته الأندلس قاطبة» وبالرغم من أنه لم يغادر الأندلس البتة إلاّ أنه ترك لنا مصنفين في الجغرافيا تمتعا بشهرة عريضة ([29]).

أحدهما المسالك والممالك ويحتوي وصفا لإفريقية و هو ذو أهمية أساسية وكبيرة خاصة منذ ضياع كتاب محمد بن الوراق وقد قام بترجمته إلى الفرنسية و نشره المستشرق دي سلان De Slane ([30]).

ومما يميز وصف البكري لبلاد المغرب هو تسميته لكل هذه المنطقة بإفريقية، وذكر أن «معنى هذه التسمية أي صاحبة السماء وقال آخرون أنها سميت نسبة إلى إفريقس ابن برهة بن الرايش الذي اتجه نحو المغرب حتى انتهى إلى طنجة، وقيل سميت بإفريق بن إبراهيم من زوجته قطوري..». وأما عن حدودها فمثل غيره من الجغرافيين، فيصفها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، أما عرضها فمن البحر

---

[28] - المقدسي: المصدر السابق، ص، ص، 216،217،218.

[29] - كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص، 276.

[30] - أنظر: - Basset René: **Documents Géographique**, p, 156.

المتوسط إلى منطقة الرمال وهي أول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق ([31]) .

و الجدير بالذكر أن مصطلح المغرب الأوسط لم يتم تداوله الا منذ القرن الخامس الهجري، حين أشار اليه البكري لأول مرة من بين كل الجغرافيين المسلمين الذين تعرضوا إلى وصف بلاد المغرب ، فبعد أن استعرض أهم مدن الواقعة في بلاد المغرب وذكر المسافات بينهما، تعرض بالحديث إلى مدينة تلمسان وذكروا أنها مدينة مسورة في سفح جبل ولها خمسة أبواب "وهي تعتبر قاعدة المغرب الأوسط" ([32]) مبررا أحوالها الاقتصادية وصيتها التجاري الكبير في المنطقة.

كما ذكر البكري عددا من المدن الهامة للمغرب الأوسط، فوردت أسماء عديدة في كتابه لأول مرة كمدينة المدية التي وصفها ببلد جليل قديم « و قزرونة (خزرونة) وهي مدينة على نهر كبير يقال لها متيجة ولها مزارع ومنها إلى مدينة جزاير بني مزغنة»([33]).

أما الجغرافي الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (493-560هـ/1100-1160م)، التي ينسب إلى بيت الأدارسة العلويين حكام للمغرب الأقصى، كما كانوا أمراء على مدينة مالاقا الأندلسية، فقد أضاف الكثير في وصفه لمنطقة المغرب الإسلامي في كتابه المشهور "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي كتبه من بلاط الملك النورماني روجر الثاني بباليرمو ([34]).

---

[31]- البكري أبو عبد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** وهو جزء من المسالك والممالك، طبعة البارون دي سلان، الجزائر، ص، 21.

[32]- البكري أبو عبد الله: المصدر السابق، ص، 76.

[33]- البكري، المصدر السابق، ص،ص، 65-66.

[34] - انظر: Meyners D'estrey: Op., Cit, p, 191 -

وفي حديث الإدريسي عن جغرافيا المغرب الأوسط وذكر أن من مدن هذا الجزء بجاية وهي قطب الكثير من البلاد كسطيف و باغلية وبسكرة و قالمة و تبسة وطبنة([35]).

ومن المدن التي ذكرها الإدريسي ضمن المغرب الأوسط تنس وجزائر بني مزغنا وتدلس وبجاية وجيجل وملیانة والقلعة والمسيلة ومقرة ونقاوس وقسنطينة ودار مدين وميلة ([36]) «ومدينة تلمسان هي قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج منه لابد منها والاجتياز بها على كل حال» ([37]).

ومن الجغرافيين الذين تناولوا المنطقة المغربية ياقوت الحموي(توفي626هـ) في كتابه معجم البلدان، وقد أعطى حدودا ضيقة لبلاد المغرب حيث جعلها «من مدينة ملیانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس» ([38]).

ويصادف الباحث تحديدا جغرافيا لبلاد المغرب الأوسط والمغرب عامة أكثر دقة لدى الجغرافيين المتأخرين في العصر الوسيط، لاسيما أبو الفداء (توفي 732 هـ) صاحب كتاب "تقويم البلدان "، وابن خلدون اللذان أفادا بوصف خاص ومتميز لبلاد المغرب عن من سبقهم من الجغرافيين، وهما يلتقيان في وصفهما، فأبو الفداء الحموي ذكر أن بلاد المغرب المصاقبة لديار مصر مبدأه من العقبة الواقعة بين الإسكندرية ومدينة برقة إلى فم بحر الزقاق -مضيق جبل طارق- عند مدينتي سلا وطنجة ومن الغرب البحر المحيط من طنجة إلى صحراء المثونة في الجنوب ومن الجنوب المفارز الفاصلة بين السودان وبلاد المغرب، وهي مفارز تمتد عبر ظهر الواحات، وقسم أبو الفداء بلاد المغرب إلى ثلاث قطع منها تعرف بالمغرب الأقصى وهو

---

[35]- الادريسي أبو عبد الله محمد: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ص، 116.

[36]- الادريسي: المصدر نفسه، ص، 72.

[37] - الادريسي : المصدر نفسه، ص. 102.

[38] - ياقوت الحموي 1992، **معجم البلدان**، نشره فردنياند قستنفلد، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات جامعة فرانكفورت، مجلد217، ص، 583.

من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان، ومن سبتة إلى مراكش ثم سجلماسة، والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان إلى آخر حدود مملكة بجاية، والقطعة الثالثة الشرقية إفريقية وتمتد إلى برقة إلى حدود ديار مصر ([39]).

ويجد المتخصص لما كتبه الجغرافيون السابقون أن المؤرخ ابن خلدون 732-808هـ /1332-1406م، كان أكثرهم دقة ومعرفة بالمنطقة وظهر ذلك في تحديده لمعنى مصطلح المغرب وحدود هذه البلاد وتقسيماتها، فهو يعرّف لفظ المغرب بالمعنى المطلق للكلمة وأنها تختلف حسب موقع حيز المكان المراد تعريفه بالنسبة لمشرق الشمس فكتب قائلا: «... إن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافة إلى جهة الشرق، والمشرق بالإضافة إلى جهة المغرب لأن العرف قد يخصص هذه الأسماء بجهات معينة..» ([40]).

أما عن حدود بلاد المغرب فنجد فيما كتبه تحديدا لتفصيلات هامة ويقارب كثيرا وصفه حدود بلاد المغرب العربي حاليا، لاسيما الجزائر، ففي حديثه يقسم المنطقة إلى ثلاث مناطق إفريقية، المغرب الأقصى وهو يمتد من واد ملوية من جهة الشرة والبحر المحيط من جهة الغرب وجبال الدرن ومن أشهر مدنه وحواضره طنجة وسلا وأزمور وأنفى وأسفى، أما المغرب الأوسط فقاعدته مدينة تلمسان ويغلب عليها ديار قبائل زناتة ومغراوة وبني يفرن وغيرهم وتشمل جهته الشرقية بلاد صنهاجة كالجزائر ومتيجة والمدية ومايليها من بجاية ([41]).

وفي الأخير يتبين من كل ما سبق من عرض لما كتبه الجغرافيون المسلمون حول جغرافيا المغرب الإسلامي منذ القرن الثامن الهجري، أن الرؤية الجغرافية للمنطقة

---

[39]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد، **تقويم البلدان**، دار الكتاب اللبناني، ، 1840ص، 122.

[40] - عبد الرحمن ابن خلدون ، **كتاب العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دون تاريخ ، الجزء 6، ص، 128

[41]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ص. 134.

وحدودها وأهم حواضرها ومدنها، عرفت وضوحا أكثر بشكل تدريجي و أكثر دقة مع الزمن، فبينما النصوص الأولى اتصفت بكونها عامة وتركز على أكبر المدن و أشهرها وتناقلها الجغرافيون فيما بينهم، تابع وجود نقص في المعلومات حول التضاريس وملامح المنطقة الطبيعية، وحول مواقع القبائل، إلاّ أن النصوص المتأخرة –القرن 5إلى8هـ- يظهر بوضوح دقتها في اختيار المصطلحات الجغرافية وتقسيمها إلى ثلاث مجالات محددة، وتحديد القبائل ومواقع انتشارها، وهو ما يبرز أهمية ***التراث الجغرافي الإسلامي*** في تغطية فترة هامة من تاريخ المنطقة المغاربية عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة، بمعارف دقيقة، استعانت بها الإدارة الفرنسية المحتلة كدليل لوجيستي معلوماتي للتعامل مع جغرافية و أهالي المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط-الجزائر- خاصة، عن طريق دفع بالمستشرقين إلى الاهتمام بجمعه وترجمته ونشره.

قائمة البيبليوغرافية

باللغة العربية

1- ابن خلدون عبد الرحمان: (دون تاريخ) **العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، الجزء السادس، دون تاريخ الطبع.

2- الإدريسي أبو عبد الله محمد، 1957، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وصف إفريقيا الشمالية**، نشره هنري بيريس، طبعة الجزائر.

3- ابن حوقل أبو القاسم، 1992، **صورة الأرض**، تحقيق: (ي.ه) كرامس، **في الجغرافيا الإسلامية**، اصدار فؤاد سزكين، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 35.

4- ابن خرداذبة، 1992، **المسالك والممالك**، تحقيق: م.ي دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، 1992، مجلد39.

5- الإصطخري أبو إسحاق الفارسي، 1992، **المسالك والممالك**، تحقيق: (م.ي) دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، اصدار فؤاد سزكين، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 35.

6- البكري أبو عبد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** وهو جزء من المسالك والممالك، طبعة البارون دي سلان، الجزائر.

7- البلاذري أبي العباس أحمد بن يحي بن عامر، 1992، **فتوح البلدان**، تحقيق (فم.ي.) دي خويه، في السلسلة الجغرافية الإسلامية، جامعة فرانكفورت، مجلد 42.

8- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد، 1840، **تقويم البلدان**، دار الكتاب اللبناني.

9- قدامة ابن جعفر،1992، **الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق: (م.ي) دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 39.

10- المقدسي شمس الدين محمد، 1992، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: (م.ي) دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 36.

11- ياقوت الحموي، 1992، **معجم البلدان**، نشره فردنياند فستنفلد، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات جامعة فرانكفورت، مجلد217.

12- اليعقوبي أبو العباس أحمد بن يعقوب، 1992، **البلدان**، تحقيق: (م.ي) دي خويه، في الجغرافيا الإسلامية، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، مجلد 40.

13- فؤاد سزكين،(1399هـ/1979م) **محاضرات في تاريخ العلوم**، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

14- كراتشكوفسكي (1408هـ/1987م) **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة : صلاح الدين هائم، طبعة(2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

باللغات الأجنبية:

15- Basset René, 1993, **Documents Géographique sur L'Afrique Septentrionale**, dans Islamic Géography, Frankfurt University, Volume, 144.

16- Gherboneaus August, 1992, **Les Géographes Arabes au moyen âge,** dans Islamic Geography, Frankfout Universty, Volume 28.

17- Meyners D'estrey , **Les Géographes arabes** dans général outlnes of Islamic Géography , in Islamic géography, Frankfunt university,1992 , Volumes 28.

18- Maçais Georges, **La Berbèrie au IX siècle**, Islamic Geography, Frankfurt, 1993, Volume 32.

19- Yver Georges: **Al Maghreb**, Encyclopédie de l'Islam, novelle édition, leiden, Brille, 1986, Volume :v.